النساء (العزلى) كما كان - تتسبيها - من أمر نجاته من فرسان قبيلة بجيلة (موقف حربى) يوم أن صاحبه فى غزوها صديقه عمرو بن براق :

إنِّى إذَا خُلَّةٌ ضَنَّتْ بنَائِلِهَا ... وأمْسَكَتْ بضَعِيفِ الوَصْلِ أحْذَاقِ

نَجَوْتُ مِنها نَجَانِى مِنْ بَجِيلَةَ إذْ ... ألقَيْتُ ليلةَ خَبْتِ الرَّهْطِ أرْوَاقِى

إن الفرار الذى عد عيبا عند أبناء القبائل أصبح محوراً للفخر هنا عند الصعلوك، فكثيراً ما نفر الفرسان من فكرة الفرار فى ذاتها ، ولكنها أصبحت هنا مطلبا ملحا تفرضه واقعية الصعاليك لضمان البقاء ، فالنمط مختلف - فى جوهره - عن فرار الفرسان فى ميادين القتال ، مما قد يُعَيَّرون به أمام قبائلهم ، فهى عندهم مبارزات وفروسية بين بطل قبيلة وآخر ، أما هنا فالموقف يختلف إذ تكمن من ورائه تلك العدوانية الصريحة والهجمات المفتعلة التى يصطنعها الصعلوك ، ويهمه - بالدرجة الأولى - أن ينجو منها ، على الرغم من تسليمه المطلق بقدرية الموت ، فهو لا يكاد يبعد عن منطق عنترة - مثلاً - كعبد قبلى ، ولا عن منطق عمرو بن كلثوم - كسيد قبلى - فإذا بتأبط شرا أو عروة يصور موقفه أمام الحدث بنفس القياس المشترك بين كل الشعراء .

ويبقى الفاصل وارداً فى كون التناعر القبلى لم يأنف من مواجهة الموت أنفته من الفرار والإدبار من ميادين القتال ، مما عُد مأخذا خطيراً يؤاخذ عليه، وهو ما سجلت منه طرفا قصه أسر عبد يغوث بن وقاص الحارثى فى يوم الكلاب الثانى حين نفى عن نفسه إمكانية القبول بالفرار وإن تهيأت له وسائله فإذا به يقول :

ولَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِى مِنَ الخَيْلِ نَهْدَةٌ .. تَرَى خَلْفَهَا الخُوَّ الجِيَادَ تَوَالِيا

ليعير قومه وقد تركوه وأتروا الفرار :

ولكنَّنِى أحْمِى ذِمَارَ أبِيكُمُ .. وكانَ الرِّمَاحُ يَخْتَطِفْنَ المُحَامِيَا